[١١٣ – عن عائشة – رضي الله عنها –: أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سريةٍ، فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال: (سلوه لأي شيءٍ يصنع ذلك) فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن ﷻ ، فأنا أحب أن أقرأها. فقال رسول الله ﷺ: (أخبروه أن الله – تعالى – يحبه)].

ذكر المصنف –رحمه الله– حديث أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها وأرضاها– في قصة هذا الرجل الذي بعثه النبي –ﷺ– أميراً على سرية من سراياه وكان يصلي بأصحابه فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فأخبروا النبي –ﷺ– بما كان من شأنه، فقال : (سلوه) فقال : إنها صفة الرحمن وأنا أحبها. قال ﷺ : (أخبروه أن الله يحبه). وفي رواية قال ﷺ : ((حبك لها أدخلك الجنة)).

هذا الحديث الشريف اشتمل على جملة من المسائل والأحكام التي تتعلق بباب القراءة في الصلاة، فناسب أن يعتني المصنف –رحمه الله– بإيراده في هذا الموضع.

وقولها رضي الله عنها وأرضاها : **[بعث النبي ﷺ رجلاً على سريةٍ]** البعث هو الإرسال يقال : بعث فلاناً إذا أرسله، والمراد: أن النبي –ﷺ– أرسل هذا الرجل أميراً على سريته، والسرية واحدة السرايا وهي صفوة الجيش وكان من هديه عليه الصلاة والسلام أن يبعث السرايا أثناء هجومه عليه الصلاة والسلام على العدو وأثناء رجوعه ويبعث السرايا خِلْواً كأن يبعثها ويكون بالمدينة ﷺ، وأصل السرية من السري وهو الصفي وصفت بذلك؛ لأنها صفوة الجيش وتبعث أمام الجيش حتى تكسر الشوكة وتمهد لغلبة العدو، وكان النبي –ﷺ– قد بعث هذا الرجل أميراً على السرية وهي إلى أربعمئة نفس فلا تزيد على الأربعمئة وتسمى سرية إذا كانت إلى حدود الأربعمئة، ولما بعث النبي –ﷺ– هذا الرجل دل بعثه على جملة من المسائل :

المسألة الأولى : مشروعية السرايا في الجهاد في سبيل الله –ﷻ– وهذا محل إجماع يرجع فيه الأمر إلى تقدير الوالي ونظره في حدود جلب المصلحة ودرء المفسدة، وللسرايا أحكام سيأتي بيانها – إن شاء الله – في "باب الجهاد" خاصة في أحكام الغنائم .

المسألة الثانية : مشروعية تأمير الأمراء على السرايا؛ لأن الناس لا يصلحون فوضى لا سراة لهم فلا بد وأن تنضبط أمورهم بمن يقوم على مصالحهم وينصح لهم في جلب الخير إليهم ودفع الشر عنهم بإذن الله ﷻ ، وإذا اتفقت كلمة الجماعة على أحد استقامت أمورهم وصلحت أحوالهم وهذا هو هدي النبي –ﷺ–

الاجتماع على من وُلِّي، ولذلك أمر عليه الصلاة والسلام كما ثبت في هديه الثلاثة في السفر أن يؤمروا عليهم أميراً فالسرية إذا خرجت تحتاج إلى أمير يقوم على أمرها ويحكم فيما يجد ويطرأ من نوازلها فأَمَّر النبي –ﷺ– هذا الصحابي فدل على مشروعية التولية على الجماعة خاصة في مثل هذه الأحوال .

المسألة الثالثة : أن الرجل كان له فضلٌ ومزية والدليل على ذلك: أنه كان يصلي بهم ولا يتقدم في عهد الصحابة –رضوان الله عليهم– إلا من كان له فضل بالعلم بالسنة ومعرفة هدي النبي –ﷺ–، فكان أميراً لهم وإماماً، وقد قرر العلماء –رحمهم الله– أن للوالي العام حق التقدم في الإمامة وله أن يوكل من شاء ولذلك تولى الأمرين وكان خليقاً إذ هو رسول رسول الله ﷺ وأميرٌ من رسول الله –ﷺ–، وفي الحديث الصحيح أنه قال عليه الصلاة والسلام: (من أطاع أميري فقد أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع الله).

المسألة الرابعة : هذا الرجل اختلف العلماء –رحمهم الله– فيه حيث جاء في الرواية مبهماً فقال بعض العلماء : إنه كلثوم بن الهَدْم وكان كلثوم –رضي الله عنه وأرضاه– من بني عوف بن مالك من الخزرج من الأنصار وقد نزل عليه النبي –ﷺ– حينما قدم على قباء نزل ببيته وهذه منقبة من مناقبه رضي الله عنه وأرضاه حيث استضاف النبي –ﷺ– وأكرمه.

وقال بعض العلماء : إنه ليس هو لأن كلثوم بن الهدم توفي في أوائل هجرة النبي –ﷺ– حيث لم يعش كثيراً، وقرر غير واحد أن هذا الصحابي مبهم وليست هناك رواية قوية تحدد من هو هذا الصحابي .

وقوله : **[فكان يقرأ ويختم بـ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾]** جاءت قصتان عن رجلين، أحدهما كان يستفتح القراءة بعد الفاتحة بـ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾. وأما الثاني فكان يختم القراءة بـ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾. وكلتا القصتين ثابتة وفيها اختلاف في الألفاظ، فكونه يبتدئ القراءة أو يختم القراءة فإن الكل يتضمن التكرار ويتضمن الدلالة على داعي الحب وتخصيص الصورة بمزية دون غيرها، والحال أنه كان يقرأ بالفاتحة ثم يقرأ إما بسورة أو بشيء من القرآن ثم يختم بـ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾. أو يبتدئ بعد الفاتحة بقراءة هذه السورة – وهي سورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ – ثم بعد ذلك يقرأ بعدها ما تيسر من القرآن، وكلا الأمرين جائز ومشروع.

فقد دلت هذه الرواية التي معنا على أنه يجوز أن يجمع بين سورتين في ركعة وأنه لا بأس للإمام ولو في صلاة الفريضة أن يقرأ سورتين في ركعة واحدة؛ لأن قل هو الله أحد سورة كاملة وهي سورة الإخلاص وكان يجمعها هذا الصحابي مع غيرها من السور، وقد ثبت عن عبدالله بن مسعود –رضي الله عنه وأرضاه–: أن النبي –ﷺ– كان يقرن النظائر في قراءته عليه الصلاة والسلام. ولهذا نص جماهير العلماء على أنه يشرع ولا بأس أن

يجمع بين السورتين في ركعة، ولكن هدي النبي –ﷺ– الذي داوم عليه وحافظ عليه أنه كان يقرأ السورة منفردة فالأفضل والأكمل أن يقتصر على السورة، ولكن إذا جمع بين السورتين فإن هذا الحديث واضح في الدلالة على المشروعية، ومما يدل على الجواز عموم قوله عليه الصلاة والسلام : ((ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن)) حيث ورد هذا الحديث مطلقاً يشمل ما كان فيه الجمع وما كانت السور فيه مفردة.

كذلك دلت قراءته للفاتحة في الركعة الأولى والركعة الثانية على مشروعية تكرار السورة بعينها في الركعتين فيجوز للإمام أن يقرأ السورة في الركعة الأولى ثم يعود في الركعة الثانية ويقرأها وهذا تكرار، وقد ثبت عن النبي –ﷺ– أنه فعل ذلك في صلاة الفجر حينما صلى عليه الصلاة والسلام بسورة الزلزلة فقرأ ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ في الركعة الأولى ثم قرأها في الركعة الثانية فدل على جواز تكرار السورة مرتين لكل ركعة مرة، وهذا يقول بعض العلماء : لا بأس بفعله خاصة عند الموجب كأن تكون السورة مشتملة على وعيد عظيم أو مشتملة على وعد كريم ويريد أن يرغب أو يرهب فيأتي بها مرتين؛ لأن سورة الزلزلة تتضمن هذا المعنى ففيها التذكير بأحوال الآخرة وكيف يبعث الناس وبَيَّن الله –جَلَّ جَلَالُهُ– فيها أعظم مشاهد الآخرة وهو فاتحتها حينما تزلزل الأرض زلزالها وتخرج أثقالها أي: ما في بطونها من أجساد الناس ويخرجون إلى الله –وَعَلَا– حفاة عراة غرلاً كما ولدتهم أمهاتهم ثم ختم هذه السورة بمآل العباد إلى الجنة والنار فأخبر أن من ثقلت موازينه كيف يكون حاله ومآله إلى الخير ومن خفت موازينه أن مآله إلى شر وبلاء فجمع الله الآخرة كلها في هذه السورة ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ إلى آخره فدل على مشروعية تكرار السورة إذا وجد الموجب، كما أن هذا الصحابي كرر هذه السورة لوجود الموجب من حبه لصفة الله –جَلَّ جَلَالُهُ– وتوحيده .

وقوله في هذه الرواية التي معنا : **[(سلوه)]** ظاهر ذلك: أن النبي –ﷺ– لم يباشر هذا الصحابي بالسؤال وفيه دليل على مشروعية رفع الأمر المشكل إلى العلماء وذلك أن الصحابة –رضوان الله عليهم– كانوا مع هذا الرجل فرأوا منه شيئاً لم يروه من رسول الله –ﷺ– فسألوه وأنكروا عليه ذلك؛ لأنه خلاف هدي النبي –ﷺ– الذي عرفوه حيث لم يروا من رسول الله –ﷺ– تكرار غير الفاتحة، وهذا يدل على أنه لا يجوز للمسلم أن يحدث للعبادات أمراً مخالفاً لهدي رسول الله –ﷺ–وسنته، وأن الواجب: التقيد بما ورد عن رسول الله –ﷺ– في عبادته وأدائه لصلواته عليه الصلاة والسلام وبقية العبادات وأن هذا هو الأصل الذي عليه مدار قبول الأعمال واعتبارها.

فأنكروا عليه ذلك؛ لأنه خلاف هدي رسول الله –ﷺ– فلما كان منه ما كان رفعوا أمره إلى رسول الله –ﷺ– فدل على مشروعية الرجوع إلى العلماء والذين هم مؤتمنون على دين الله وشرع الله وأن الواجب على الأمة إذا

اختلفت في أمر من الدين أن ترجع فيه إلى أهل العلم وأنه لا يجوز أن يُعرض عن العلماء ويركب كل هواه ويتعصب كل برأيه دون أن يفصل الأمر ويبين وجه الحق عن طريق أهل العلم الذين هم أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم والرجوع إليهم، قال تعالى : ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ فأمر الله –ﷻ– أن يفصل في الخلاف بحكمه ثم بين أن أهل العلم هم أهل ذكره وأهل الحكم كما قال ﷻ : ﴿ فَسۡـَٔلُواْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ فهم أهل الحكم في المسائل الفقهية والمسائل الشرعية التي تتعلق بالدين.

فرجعوا إلى رسول الله –ﷺ– وأخبروه ما كان من شأن هذا الصحابي فقال لهم النبي ﷺ: **[(سلوه)]** وهذا فيه دليل على سؤال الإنسان عن عذره في الأمور وهذا هو هدي النبي –ﷺ– فقد ثبت في الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام: أنه صلى بالصحابة ورأى رجلاً لم يصل في القوم فقال عليه الصلاة والسلام : عَلَيَّ به فلما أتي به قال عليه الصلاة والسلام : ((ما منعك أن تصلي في القوم ؟ قال : يا رسول الله أصابتني جنابة ولا ماء)) فسأله عن عذره واستكشف ما الذي حمله على ما هو عليه من الحال من مخالفة الجماعة والشذوذ عن الجماعة، فقال : « أصابتني جنابة ولا ماء » فهذا يدل على مشروعية سؤال الإنسان عن عذره ومعرفة ما هي حجته وما هي شبهته ثم تدحض إن كانت باطلة بالدليل ويبين له الحق وتقام عليه الحجة ويعذر إلى الله –ﷻ– فيه.

قال رضي الله عنه وأرضاه : **[إنها صفة الرحمن وأنا أحبها]** "إنها" أي: سورة الإخلاص، "صفة الرحمن" أي: أن الله –ﷻ– وصف نفسه فيها بالصفات الكريمة التي لا تليق إلا به ﷻ.

[إنها صفة الرحمن] ولذلك قال المشركون للنبي –ﷺ – : صف لنا ربك، فأنزل الله –ﷻ– : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾.

فاختار الله –ﷻ– هذه الأربع الآيات تُعَرف العبد بجلاله وعظمته وكماله وما له من هذه الصفات العظيمة التي لا تليق إلا به ﷻ.

[إنها صفة الرحمن، وأنا أحبها] في رواية : ((حبك لها أدخلك الجنة))، وفي رواية : ((إن الله يحبك)) وكلا الأمرين يدل دلالة واضحة على التوحيد وإخلاص العبادة لله –ﷻ– فإذا كان المسلم مخلصاً لله –ﷻ– موقناً به سبحانه فإن هذا من بشائر الخير له بسعادة الدنيا والآخرة ولذلك قال له : ((حبك لها أدخلك الجنة)) وهذه المحبة إنما استوجبت هذا الفضل العظيم؛ لأنها من توحيد الله، ومن وحد الله في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته فإنه يحب كل ما يقرر ذلك ويدل على ذلك ويهدي إلى ذلك والله –ﷻ– جعل هذه السورة مشتملة على أقسام التوحيد ودالة على صفاته وأنه سبحانه الواحد في ألوهيته وفي ربوبيته وفي أسمائه وصفاته.

وجعل الله –ﷻ– الجنة مقرونة بالإيمان به ولذلك لما قال مؤمن القرية : ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ فجعل الله دخول الجنة بعد قوله : ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴾ فقال الله بعدها : ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾ يعني: بالإيمان وبما كان لي من السعادة بتوحيده ﷻ فجعل الله سعادة الدنيا والآخرة مقرونة بتوحيده ومن وحد الله –ﷻ– في ألوهيته فأخلص لله –ﷻ– قلباً وقالباً ولم يصرف ما لله لأي أحد سواه كائناً من كان، ولقي الله –ﷻ– مخلصاً في إيمانه وتوحيده فهو حري بهذا الفضل العظيم والثواب الكريم، قال ﷺ : ((من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة)) فقرن الله السعادة كلها بهذا الأصل العظيم.

ومن هنا: كانت هذه السورة تعدل ثلث القرآن؛ لأن كتاب الله –ﷻ– فيه التوحيد وفيه القصص وفيه الأحكام فكان التوحيد ثلثاً من هذا الوجه وإن كان التوحيد هو قطب رحى القرآن كله حتى أن القصص والأحكام ما جاءت إلا لتقرير توحيد الله –ﷻ– فإن القصص ما ضربت إلا لبيان سنن الله –ﷻ– التي لا تتبدل ولا تختلف بما ختم من السعادة للمؤمنين وبما ختم من الشقاء للكافرين والجاحدين وكل ذلك يدور حول أصل الإيمان وقاعدة التوحيد.

قال : **[إنها صفة الرحمن، وأنا أحبها]** وهذا يدل على ما كان عليه أصحاب النبي –ﷺ– من حب الله صدق المحبة حتى أحبوا كل شيء يذكرهم بالله كيف وقد وقر في قلوبهم ما ذكرهم به نبي الأمة ﷺ فاهتدوا بهدي رسول الله –ﷺ– فلما رأوا في نبيهم الحب الكامل لله والإخلاص الكامل لله والعبودية الخالصة لوجه الله أحبوا كل شيء يذكرهم بتوحيد الله –ﷻ–، وأصبحوا حريصين على هذا الأساس العظيم وعلى هذا الأمر الجليل الكريم رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

في هذه الجملة في قوله : ((حبك لها أدخلك الجنة)) فيه بشارة لهذا الصحابي بدخول الجنة ولا يجوز أن يُشهد لأحد أنه من أهل الجنة إلا من شهد الله له أنه من أهلها أو شهد له رسوله عليه الصلاة والسلام، ويرجى للمحسن الإحسان وأما بالنسبة لمن مات من عصاة المؤمنين فإنه تحت مشيئة الله –ﷻ– يرجى له صفح الله –ﷻ– وعفوه فإن عفا الله عنه فبمحض فضله وإن آخذه فبمحض عدله لا يسئل عما يفعل وهم يسألون.

وقوله عليه الصلاة والسلام: **[(أخبروه أن الله يحبه)]** فيه دليل على إثبات صفة المحبة لله –ﷻ–، والأصل أن ما ورد في كتاب الله وسنة النبي –ﷺ– من الأسماء والصفات يجب على المسلم أن يعتقده وأن

يكون هذا الذي نص عليه دليل الكتاب والسنة مثبتاً لله –ﷻ– كما أثبته في كتابه وعلى لسان رسوله –ﷺ–، يثبته على الحقيقة كما ورد بنَص كتاب الله وسنة النبي –ﷺ ؛ لأن الله أعلم بما سمى ووصف به نفسه فهو أعلم من خلقه بنفسه ﷻ فإذا أثبت لنفسه أي صفة فإننا نثبتها له ﷻ وإذا نفى عن نفسه شيئاً فإننا ننفيه دون أن يؤول ذلك الشيء الذي أثبته الله –ﷻ– لنفسه، قال تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ نقول : جاء مجيئاً يليق بجلاله وعظمته ولا نقول : جاء أمر ربك، فإن الله قال : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ فأثبت لنفسه صفة المجيء وأثبت لنفسه الصفات العين واليد وغيرها من الصفات التي دلت عليها النصوص، يثبتها العبد دون أن يؤولها فيصرفها عن حقائقها، ودون أن يعطلها عن دلالتها، ودون أن يشبه الله –ﷻ– بخلقه وهذا هو الوسط والقصد فمذهب أهل السنة وسط بين الإفراط والتفريط فلا يبالغ في الإثبات حتى يشبه ولا ينفي حتى يعطل –نسأل الله السلامة والعافية– .

وفي هذا الحديث دليل على رحمة الله –ﷻ–بعباده وإن من أعظم ما يتفضل الله به على عبده حبه له وإذا أحب الله العبد أسعده وظهرت دلائل المحبة وبشائر المحبة من الله لعبده أمر غيبي، فمحبة الله لعبده أمر غيبي لا يستطيع أحد أن يجزم لأحد أن الله يحبه إلا إذا دل الدليل على ذلك، ولكن الله –ﷻ– جعل للمحبة دلائل وبشائر يلقاها عبده وحبيبه المؤمن في الدنيا ومن ذلك أن الله يضع له القبول كما في الحديث الصحيح عن النبي –ﷺ– قال : ((إن الله إذا أحب عبداً نادى : يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء : يا أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه)) نسأل الله بعزته وجلاله أن يجعلنا وإياكم ذلك الرجل.

الله أكبر إذا نودي باسم العبد في الملأ الأعلى : ((إن الله يحب فلاناً فأحبوه)) قال ﷺ : ((ثم يوضع له القبول في الأرض)) فيضع الله له القبول حتى ولو كان حداداً أو نجاراً ولو كان من أوضع الناس منزلة عند العباد فقد يكون من أعلاهم درجة عند الله –ﷻ– فهو يحب من يشاء لا يحب الناس لألوانهم ولا لأحسابهم ولا لثرواتهم ولكن يحب سبحانه المهتدين ويحب المتطهرين ويحب التوابين، ويحب المتوكلين يحب من قدم الثمن بطاعته ومرضاته والسير على نهجه وابتغاء مرضاته ﷻ يحب المحسنين بما ستروا من العورات وبما فرجوا من الكربات وبما أدخلوا من السرور على مرضى المسلمين والمسلمات.

يحب سبحانه محبة تليق بجلاله وكماله، يحب عبده وإذا أحب عبده وضع له خير الدنيا والآخرة، فإذا كانت محبة الله للعبد ظهرت هذه الدلائل من القبول في الأرض فيكون مقبولاً بين أولاده وبين أهله ثم يظهر القبول بينه وبين من يعامله ويداخله في تجارته في سوقه في بيعه وشرائه وأخذه وعطائه ويوضع له القبول في جميع ما يكون من شأنه، فهذه من دلائل محبة الله للعبد وليس هذا بالأمر الهين ولذلك قرن الله هذه المحبة بشيئين :

أولهما : الإيمان. والثاني : العمل الصالح. قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ .

قال بعض العلماء : الود هو الحب في القلوب فالمحبة من الناس تُشترى بالأموال ولكن ولي الله والعبد المطيع لله يضع الله له القبول بين خلقه وبين عباده فمنذ أن تراه تحبه وأنت لا تعرف اسمه ولا تعرف نسبه ولا تعرف من هو لكنك منذ أن تراه تحبه لله وفي الله خاصة إذا ظهرت منه أمارات الخير ودلائل الخير، نسأل الله العظيم بمنه وكرمه أن يمن علينا بحبه ومحبة عباده، إنه ولي ذلك والقادر عليه .